

د. مختار السيد (٢)

«حاول البعض أن يتفلسف، فأسمى مجموعتنا مجموعة «الحر» للحفاظ على أمننا، وكانوا كلما سألهم أحد لماذا؟ يجيبون لأن زعيمهم شعره أحمر. ولم يكن الأمر صعباً أن يعرف الجميع بما فيهم الأمن من أنتى صاحب الشعر الأحمر».

(د. مختار السيد- فى حوارہ معى)

وبعد هزيمة ١٩٦٧ تداعت قوى شيوعية عديدة إلى السعى نحو إعادة تأسيس الحزب، وتكونت مجموعات عدة منها مجموعة «السمر» لأن مؤسسها كانوا فى الأغلب نوبيين ومعهم رفعت السعيد ومجموعة «الجرس» لأنها كانت تصدر نشرة اسمتها الجرس (محمود توفيق- سعد كامل) ومجموعة أخرى بلا اسم (نبيل الهلالى- فوزى حبشى- ميشيل كامل) ومجموعة رابعة وهى «مجموعة الحر» (مختار السيد - عبد الله الزغبى- منصور زكى- نبيل صبحى) وسريعا قبض على عدد من المجموعة الثالثة وادعوا فى سجن القلعة فأسميت مجموعة القلعة. ثم قبض على مجموعة الحر وأيضاً إلى سجن القلعة.

وإذ نعود إلى ذى الشعر الأحمر فى بداية خروجه من السجن (ابريل ١٩٦٤) وبعد إعلان حل الحزب فقد مختار أية قدرة على التجاوب من متطلبات الحياة العادية، فتلقف عملاً كطبيب مقيم على إحدى البواخر الملحقة بحفارات البترول فى البحر الأحمر. الإقامة مترفة إلى درجة عالية والمرتب كبير جداً والعمل ١٥ يوماً للإقامة على المركب فى رفاهية لم يعتد عليها وهى ١٥ يوماً اجازة، لكنه فجأة شعر بنداء خفى للعودة إلى القاهرة والبدء فى إعادة تأسيس الحزب. الجميع يسألونه لماذا؟ فيجيب ثريا ومير(ابنته) وحشونى، أو يقول : سئمت الحياة الراقية والأكل الفاخر، لكنه عاد فى الواقع ليبنى للفكرة التى آمن بها حزبا يدافع عنها. ويعمل طبيباً فى مستشفى الموظفين فى امبابة براتب شهرى ١٧ جنيهاً وبدأ فى الوقت فى تأسيس مجموعة «الحر»، وواصل فى نفس الوقت دراسته وحصل على

دبلوم جراحة وأصبح واحداً من أشهر الجراحين. وما أن اشتهر اسمه تهافتت عليه المستشفيات الاستثمارية وعرضت عليه راتبا مغريا. ورفض، فقد كرس نفسه لخدمة الفقراء الذين كثيرا ما يجرى لهم عمليات جراحية مجانا وأحيانا يسد نياحة عنهم أجر طبيب البنج. وافتتح مختار مستشفى خاصا صغيرا كان يعمل فيه منذ السادسة صباحا ويعالج فيه فقراء الحى، ومن هناك إلى مستشفى امبابة العام. ليهب كثيرا من وقته للفقراء من المرضى. أما ما تبقى من وقت فهو لبناء الحزب. ويعرف سكان امبابة الطبيب الصديق للفقراء. كان يذهب لمستشفاه فى السادسة صباحا ليجد طابورا من المرضى فى انتظاره ثم يذهب إلى مستشفى امبابة العام ليجد المرضى ينتظرون حضوره ويرفضون الدخول إلى أى طبيب آخر ، أما وقته الآخر فيستهلك العمل الحزبى كل ما بقى لديه من جهد. وتأتى انتخابات مجلس الشعب، والارهابيون يحكمون قبضتهم على امبابة وقيمون ما اسمى «امارة امبابة» وشعر الارهابيون بخطر هذا الطبيب فركزوا هجومهم عليه وعلى حزب التجمع الذى رشحه وبادلهم مختار هجوما بهجوم، وانتهز الأمن الفرصة ومنح الارهابيين الفرصة كاملة لمواجهة هو رفع شعار «الحرية للوطن- الديمقراطية للشعب الخبز للفقراء، فلما ركزوا هجومهم عليه وعلى حزبه تمسك بشعار «الدين لله والوطن للجميع» ووقع مختار بين فكى كسارة البندق، الجماعة الارهابية ترفع فى وجهه شعارات متأسلمة وترفع شعارات تكفيره، والحكومة ترفع فى وجهه سيف التزوير الفاضح. وسلب منه هذا الثنائى الشرس مقعدا كان يستحقه تماما، ويمضى الطبيب المناضل فى عيادته ومستشفاه فى امبابة واهبا تضحياته لمرضاه الفقراء، والنصف الآخر لبناء قاعدة تنظيمية واسعة لحزب التجمع. وفى حزب التجمع يصعد ليصبح عضوا فى اللجنة المركزية. وتمضى أيام ويكون مختار فى قريته جزيرة القباب ليتلقى مكاملة من حفيده فاضل.. ويحدد معه موعدا، وأسرع ليلحق بالموعود لكن سيارة طائشة تقتحم عليه سيارة الفولكس.. ونفقد الطبيب المناضل. طبيب الفقراء والمناضل من أجل الفقراء..رحل ليترك لنا ولفقراء امبابة ذكرى عطرة. لم تزل باقية حتى الآن، وحتى الآن يتحدث فقراء امبابة عن حزب التجمع بأنه حزب الدكتور مختار أبو شعر أحمر.